من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به اتم واعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلايق واخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضا والشريعة الغرا صلوات الله وسلامه عليه وقال تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم اي عزيز عليه عنتم اي اثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يخاطبنا الا بما نريد ابلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا والى هذا اشار صاحب البردة بقوله لم يمتحنا بما تعيا العقول به * حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم * اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذه سنة القران ومن تتبع الكتاب والسنة راى العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله عليه السلام على اسلامهم حض المومنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا بجسده المنفس لا بروحه المقدس

ويرحم الله القايل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به * تبلد ذهني هيبة لمقامه *
فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا * هوى فيه احلى من لذيذ منامه *
اذا قال فيه الله جل جلاله * روف رحيم في سياق كلامه *
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز * يختلف فيه نثره ونظامه *

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكر الاية ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم وتضررهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان كان المقصد منه صحيحا ففي ظاهره شي لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلما الذي هو الحرص فيكون مخفوضا به ومما يقوي هذا التوهم قوة اعطا الكلام ان الضمير الاول من قوله وعزته عليه عايد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عايد على الله تعالى فلا يبقى للشدة الا ان

يكون

يكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلما على حذف مضاف اي وكراهة شدة ما يعنتهم او نحو ذلك من المضافات والاولى والصواب ان شا الله ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله وعزته معطوف على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله مما يعنتهم والها الثانية في عليه عايد على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر بن طاهر فيما ذكره القاضي عياض زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد اخر من كذبه الى الموت او القيامة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية وللمنافق رحمة بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب فانه عليه السلام كما قيل رحمة تعم المومن والكافر كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولقد احسن القايل حيث قال *

غنيمة عمر الكون لمحة عيشه * سرور حياة الروح فايدة الدهر *
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي * تجلى لها الرحمن في السر والجهر *

فبيانه ونصحه رحمة ودعاوه واستغفاره رحمة فوز في ذلك من قبله وحرمه من رده **فان قلت** كيف كان رحمة وقد جا بالسيف واستباحة الاموال **فالجواب** من وجهين احدهما انه انما جا بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقد قال تعالى وانزلنا من السما ما مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيهما ان كل نبي من الانبيا قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت او الى القيامة لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله

Copyright © King Saud University